المجلد الاول | الجزء ٥ | السنة الاولى



الفجر

1338

محل ادارة المجلة	اجرة الاعلانات	قيمة اشتراكها
شارع باب البنات ٤٦ بتونس	يتفق فيها مع الادارة	عن سنة ستون فرنكا

تونس - دسمبر ١٩٢٠ الموافق ربيع الاول وربيع الثاني ١٣٣٩

مجلة علمية عمرانية اخلاقية تصدر مرة في كل شهر

يحررها نخبة من علية الكتاب

« فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه »

« اولئك الذين هداهم الله واولئك هم الو الالباب »

« قرآن شريف »

مطبعة النهضة - نهج الجزيرة عدد ١١ - تونس



شتان بين مصر وتونس

ربما سبق الى الاذهان من هذا العنوان اننا نريد ان نناظر بين البلادين ونقابل بين الامتين لنحكم بالتفضيل لاحد الفريقين ولو حاولنا ذلك لصدنا عنه بون بعيد ومسافة شاسعة نجدها بين القطرين من حيثيات كثيرة يقتضي البحث عدم اهمالها لانه لامندوحة للباحث من ذكر المزايا الحاكمة في التفاضل والفروق التي بها تتباين مراتب الشقين

ولئن تناول موضوعنا في بعض نقطه ما يشعر بذلك غير انه لم يكن مقصودا لذاته وانما هي المقتضيات تستدعي تشخيص جزئيات تكون متممة لغيرها واهم ما يرد في الباب التعرض للموقع الجغرافي والمركز السياسي والمطامع الاجنبية وتعارض المصالح وتغالب القوات وتنازع النفوذ

على ان بحثنا انما هو فيما وراء ذلك وهو النظر في الهيئة الاجتماعية والرقي الادبي والتقدم في العلوم والمعارف وتهيء الافكار واتساعها لقبول ما يمليه عليها عصر كثرت مستحدثاته وتنوعت مخترعاته فاحتاجت

بالطبيعة لتلقي تلك النواميس الثقيلة بقوة ينبغي الاجتهاد في تحصيلها في الوقت المناسب قبل فوات اوان التدارك وعدم امكان الانتفاع بما اوجدته القرايح المستنيرة وانتجته ابحاث المكتشفين وارباب الاختراع

نحن والمصريون متحدون لغة ودينا ومتقاربون في الاخلاق والعوائد ومتفقون في عدة امور اخرى ولولا بعد ما بين الاقليمين وما اوتي ابناء النيل من خصوبة الارض والثروة الطبيعية ووفرة العمران لامكننا التوفيق في المقابلة والتنظير من اهم الوجوه

ولسنا باقل منهم استعدادا او اضعف قوة فكرية او دونهم في ادراك الحقائق والبصارة بواجبات الحياة وموجبات التقدم والارتقاء ولاكنهم منحوا حرصا على اغتنام الفرص مهما سنحت وصبرا على تحمل مرارة الانتظار ومعانات اسباب بلوغ الامال فاكسبتهم التجربة خبرة زائدة سهلت عليهم مباشرة الاعمال العظيمة والاقدام عليها بعزم وثبات

فكروا كما فكرنا وعلموا وعلمنا ان اضمحلال الامم والشعوب نتيجة التفريط في التربية القومية والتعليم الصحيح والزهد في المحافظة على اللغة التي هي امتن رابطة وامنع وقاية للجنس من الاندماج في العناصر الاجنبية الى حد الضياع والانعدام ، وايقنوا ان خطر الانهماك في التقليد بدون تبصر في عواقبه وعلى غير اسلوب حكيم يؤدي الى سقوط محتم تدحرجت في هوته العميقة امم كثيرة وشعوب متعددة

راوا ذلك كله كما رايناه ولاكنهم تسابقوا مبادرين لانشاء المدارس واصلاح طريقة التعليم واحداث المجتمعات العلمية وتاسيس النوادي لالقاء الخطب والمسامرات في الفنون المختلفة وترجموا كتب العلم والفوا

فيها على الطريقة العصرية تيسيرا لنشر المعارف وتسهيلا لاقتنائها فاقبلت الناشئة على التعلم ونشطت الشبيبة الى استكمال معلوماتها ولا زالوا يجاهدون في هذا السبيل بالنفس والمال غير مكترثين بالعراقيل التي صيرت وضيفتهم صعبة محفوفة بالخطر ومهددة بالحرمان وهم مع ذلك يعاتبون انفسهم على التقاعس ويسمون اعمالهم بالتقصير ويتوسلون بكل ما في الامكان الى التوصل الى غايات بعيدة لانهم لا يرضون ان يكونوا في درجة منحطة عن ارقى امة عالمة متمدنة

يقولون وينبغي ان نقول مثل قولهم ان العلم لا يمكن احتكاره كاشعة الشمس لا يستطيع احد الاستحواذ عليها ليحرم غيره منها وليس في مقدور اية قوة ان تتحكم فيه وتختص باستثمار منابعه ذات التيار الهايل الذي لا يقف الممانع في سبيله إلاّ كما يقف المشاغل في طريق السباق فاما ان تبعثره سنابك الخيل او يتجنب الطريق .

لذلك فتشوا عن اسباب الوصول الى تلك المرتبة وبحثوا عن الطرق المبلغة اليها فوجدوا ان المجارات هي الاصل الحقيقي والاساس المعتبر في رقي الامم وصعودها اذ بها تظهر المواهب الفكرية وتقوى عزايم اهل الاكتشاف والاختراع وما هي إلاّ ملكة فطرية كامنة في القرايح قوية في نفوس اهل الحزم والثبات تبعث فيهم نشاطا على المثابرة ومواصلة البحث والتنقيب لاختراع شيء جديد واكتشاف خبايا الطبيعة ومدخراتها لينتفع البشر بتلك الكنوز الفاخرة التي لا علة لوجودها إلاّ خدمة مصالح العالم الانساني

وقبل التوغل في المجارات والمزاحمة يلزم ان نفهم الفرق بين مجارات

الامم ومتابعتها في النقط المهمة العائدة بالفائدة الصحيحة والربح المحسوس وبين التقليد في الازياء والعوايد والمحاكات في التخلق بظواهر المدنية الكاذبة وانما يظهر الحذق والنباهة في سلوك مجازات اروبا المتمدنة بدون اغترار وعلى اسلوب محمود يكبره اهل النبوغ والدراية وتحترمه اصحاب العقول الكبيرة

تشخيص الغايات المراد بلوغها وتقدير النتيجة العائدة على المجموع شرط قبل الشروع في العمل وتنقيح الاساليب بعد الاجادة في اختيارها واختبارها ثم افراغ الوسع في تطبيق ذلك على ما يناسب العصر ويلايم الاذواق مع المحافظة على اختصاصات الجامعة الملية في الجنس واللغة والدين

على هذه المبادي يلزم ان تتقارب الاحزاب وتتالف القلوب ويقوم كل بواجبه نحو وطنه وجنسه وكلما خطا خطوة الى الامام إلاّ واستبشر بمستقبل زاهر ووجد طريقا تزداد سهولة في كل اونة وحين

قلنا شتان بين مصر وتونس مع انه ليس بيننا وبينهم إلاّ خطوات قليلة يمكن اختزالها بوثبة نشيطة تجعلنا معهم في مستوى واحد نناجيهم ويناجوننا بلغة العلم ونتعاون جميعا على استرجاع مجد لغتنا العربية وتدعيم اساس نهضتنا الادبية وننشر لواء المعارف الذي طوته ايدي الاهمال والتفريط بعد ان كان خافقا على راس الامم الاسلامية في القرون الزاهرة

كنا بالامس شعبا انحطت مداركه عن اكتناه الحقايق وجفا طبعه عن سماع النصح والارشاد وضعف ذهنه عن تصور فائدة التعلم وآثاره

النافعة وانطمست مرءاة قريحته دون انطباع جمال التربية الراقية ومناظر الادب والفنون

اما اليوم فاننا نخاطب امة هبت من نومتها الطويلة ونذاكر شعبا ذكي الفؤاد دقيق الانتقاد عرف واجباته ووثب وثبة غيور تداوى من علة الفتور والتواني واراد ان يعوض ما فاته معتمدا على حزمه وقوة عزمه

نعم نحن اليوم غيرنا بالامس ونريد ان نعمل عمل جد واخلاص ولا نعدم رجالا من ذوي الكفاءة يحلون المشاكل بحكمتهم ويقودون ابناء وطنهم الى مقر السعادة الذي ينبغي ان لا نقف حتى نتبوأ منصته العالية

كنا قبل اليوم لا نقدر على التفاهم ومبادلة الاراء لان غيوم الجهل الكثيفة كانت متسلطة على العقول وكنا احزابا متنافرين وشيعا متباعدين اما الان فقد تقشعت تلك السحب وبدا من خلالها وميض نور اضاءت به الارجاء فانفسح المجال لتقارب الاحزاب من بعضها في الافكار والاخلاق والمقاصد والغايات

تامل ترى من البسيط فهم اسباب نهوض الامة المصرية وبلوغها لمركزها السامي من الرقي العلمي والتربية العالية ذلك لانهم وثقوا بانفسهم وتبادلوا الثقة فيما بينهم فكلما توجه فريق نحو عمل ذى مصلحة وطنية إلاّ وجد معاضدة من الباقين وتنشيطا من الاخرين فان استعان بهم اعانوه واذا استنجدهم انجدوه وهكذا يتجشمون اشق الاعمال اعتمادا على قوة الاتحاد ووثوقا بتعاون المجموع

الواجب يطلبنا بمشروع عظيم لا يليق بنا ان نصرف النظر ونغض الطرف عنه فان نهضتنا العلمية لا تزال في طور الطفولية ولاكنها قوية البنية

ذات استعداد تام لتبرز في يوم قريب رافلة في ثوب زينتها الجميل محلاة الجيد بعقد ثمين من الاثار الحميدة والمزايا الفاخرة وفينا ملكة حسنة نامية الاحساس قابلة للتربية اذا وجدت عناية صادقة من ناصح أمين

نبوغ الافراد ليس بكاف وحده لاقامة هيكل الرقي العام في امة بل لابد من استخدام تلك القوة الممنوحة لاولئك الافراد في تمهيد الطريق وتذليلها لكافة المواطنين وتشويق الشبيبة الى المجارات والمسابقة على مبدا الصدق وتنبيهها الى الحياد عن مسالك الخطاء ومزالق الغلط

ولا يقنعنا ما نراه من التئام الاحزاب والتفاف الطبقات حول المشاريع النافعة وتشوق العموم الى الاستفادة من مبتكرات الافكار واقبالها على معانات وسائل تحصيل العلوم والاداب كذلك لا يثبطنا ما نراه من تكاسل البعض وزهده وتفريطه في اغتنام الفرص ولاكن ينبغي ان لا نهمل هذا الفريق ونتركه وشانه فمن السهل رجوعه الى الجادة لان حالة المجموع حسنة والوسط نقي من الشبه التي تضلل العقول وتجسم الاوهام والتونسي لا يستنكف وهو في طفولية التربية ان يكون تلميذا لاي استاذ يلقنه المبادى القويمة ويكشف له حقايق العلم ودقايقه وليس من العجز ايجاد الوسائل لمن سعى لها سعيها فلننفر خفافا وثقالا لندرك طلايع النهضة قبل ان يعتريها الفتور وتياس من لحاق النجدة

من دقق النظر وامعن في البحث اتضح له ان الشعوب الراقية لم تبلغ الى اوج السمو لمجرد وجود اهل العقول والافهام فيها كما ان علة السقوط ليست هي فقدان هذا الفريق منها بل الامم باخلاقها الفاضلة وتربيتها

القومية وارادتها المتينة فاذا توفرت فيها تلك الخصال الحميدة بلغت الاماني واستقرت في اوج السعادة واذا خلق ثوب التربية وتمزق طوقه فقد اذنت جامعتها بالانحلال وداها التلاشي والاضمحلال

ولسنا بحمد الله بالفاقدين لمكارم الاخلاق ولا بالمنحطين في درك مخيف من سوء التربية ولا بالموسومين بضعف العزم والارادة ولا كننا في حاجة الى تعهد وعناية تساعدنا على التمرن لنمو قوانا الادبية لان العضو مهما كان قويا لا بد من تعهده بادامة الحركة ليحافظ على وضيفته وإلاّ اصابه الوهن ودوام الممارسة موجب لنمو القوة

معترك الحياة ميدان رهيب سلاحه صدق الارادة وثبات العزيمة وعدم الرهبة واطراح الخوف والوجل واقتحام الخطر ومغالبة الحوادث ومكافحة الوساوس والاوهام والاقبال على الدرس والمطالعة بترو وتدبير والتحلي بالاخلاق الفاضلة ومكارم الاخلاق وما هي إلاّ خصال يمكن لكل احد اكتسابها اذا جد في طلبها واستمر على العمل بدون فتور ولا بد ان يبلغ المجد بسعيه الى الغاية التي يتطلبها ومن ذا الذي لا تطمح نفسه وتستفزه همته الى اكتساب السعادة الحقيقية والخروج من حماة استكانة الجهل وذله الى بحبوحة العلم وعزه

يظهر جليا ان اساس ما نحاوله من تهذيب اخلاقنا وانتشار التربية الفاضلة الراقية بين طبقات شعبنا الذكي الحاذق هو ازالة تلك الشبهة المتمكنة في النفوس والعقبة المعترضة بين المصلحة الشخصية والمصالح العامة فيجب صرف العناية لاقناع العموم وافهام كل فرد ان المصلحة العمومية ليست إلاّ مصلحة شخصية بالنسبة لكل واحد من افراد

المجموع وان المصلحة الشخصية مهما عظمت في عين العائدة عليه ما هي إلا شيء حقير وجزء تافه بالمقابلة مع نصيبه من المصلحة العامة

هاته اهم نقطة نستلفت اليها انظار المصلحين واصحاب الغيرة الوطنية ونستدعي الى التامل فيها نباهة كافة ابناء وطننا الذين لهم من مضاء العزيمة وعلو الهمة ما يدعوهم الى محاربة الاخلاق الردية ومحقها والتحلي بالخلال الحميدة واكتسابها وجلبها

اذا تدعم هذا الاساس ورسخت تلك العقيدة حصل بسهولة كل ما نبتغيه ونزعنا رداء الكسل ونفينا اوهام الجبن وبسطنا اكف البذل والسخا. ونشطنا بطبيعتنا لتعضيد كل مشروع افتقرت اليه حياتنا الاجتماعية

وسنملي عليكم فيما يستقبل فصولا من المباحث توضح لكم اسباب النهضة العلمية ورسوخ التربية بين الاقوام الذين قظوا شطرا من حياتهم في مهامه الضلالة والانحطاط ثم صعدت بهم همتهم الى ارفع مكانة فاصبحوا يتنعمون في عزة العلم ومنفعته

ولعلنا لا نخطيء اذا تسرعنا وحكمنا من الان بان اهم عوامل النهضة هو رسوخ قدم المجلات والجرايد وحصولها على المكانة المكينة في الامة بما تلاقيه من مجموعها من الاقبال والمساعدة والاعانة الكافلة بطول حياتها وقوام اعمالها وانما يتم ذلك بسلوك رجال الصحافة وكتابها مسلك النصح والارشاد

القضاء والقدر في نظر الغربيين

اعتنى نخبة من علماء الافرنج بالبحث عن اسباب رقي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا لذلك الكتب الضخمة واستفرغوا المجهودات الجمة وانفقوا الاوقات الشاسعة فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في الاعصر المتقدمة وسرعة انتشار الدين الحنيف في اطراف المعمورة انما الفضل فيها بساطة تعاليم الدين الجديد ووضوحها وموافقتها للفطرة التي فطر الله عليها الانسانية . فبساطة تعاليم الدين ونزاهة غرضه وسمو مباديه قد جلبت اليه اقواما دخلوا فيه افواجا وهرعوا الى اعتناقه زرافات ووحدانا فاصبحوا بنعمته اخوانا وعلى تاييده اعوانا ولحماية بيضته انصارا واخدانا

اهتدوا بهديه واشرقت على قلوبهم شمس رشده التي اضاءت لهم سبل السداد وانارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في اطراف المعمورة يسعون في تشريك الامم في هذا النور العظيم ويعملون على ايقاض الشعوب الذين كانوا ينامون في ليل من الجهل بهيم . وشهد التاريخ ودلت الانباء واجمعت كلمة المورخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الاثناء رايدهم الصدق والاخلاص وقايدهم العدل والاحسان ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق ببني الانسان . اما الصفات التي ساد بها فحدث ما شئت عن ثبات وجلد ويقين في النجاح وصبر على السراء والضراء وشكر في حالتي الشدة والرخاء . وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء هذا الى عزم يقدّ الجبال واتحاد في السر والاعلان وتظافر على المصالح واعتصام بحبل الله في جميع الاحوال . هذه الصفات العالية إذا انطبعت في نفوس ابية وهمم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وادركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على اهم ارجاء العالم في ذلك التاريخ

على ان اولئك العلماء الذين اشرنا اليهم في طالع هذا الفصل قد نظروا ايضا نظرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على الاسلام بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي افضت الى تقلص ظل نفوذه من كثير من الاقاليم والولايات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية اللذين لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فاطبقوا على ان ذلك نتيجة لازمة تؤول اليها كل امة اخلدت الى الترف ومالت الى الراحة وجرت في اعقاب الشهوات واهملت الاخذ باسباب الحزم وتقاعست عن مجاراة الامم الراقية في حلبات العمل فنهم من يعزو الفشل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم التي يتوهمون انها تامر بالرضى بالمقدور والاستسلام للامر المقضي وهو وهم شائع عند كثير من الافرنج . وقد اعتنى بتدحيض ذلك بعض اكابر علمائهم والى القارىء الكريم مقتطفات من كلامهم تقوم انموذجا على ما وصلوا اليه من بعد الغور في المباحث العلمية ودقة النظر في الاحوال الاجتماعية قال بارتلمي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية حوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر : ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يامر اشياعه بالكسل والفتور وارسال الحبال على الغوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم ادى اليه قلة التثبت واعمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبيء عليه السلام) حركته المستمرة وثقته بنفسه واعتماده عليها . وما كان توكله على الله باقل صدقا لكن كان يكتنفه حدود معقولة ولم يتعد قط الى ذلك التعامي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا القضاء والقدر القرآن يامر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشيئة الله الامر الذي اوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا لم نعثر في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبيء على ما يشعر بخلع اشرف المدارك النفسانية (الارادة) وتعطيلها عن العمل

وليست الاحالة على المقادير إلاّ ضالة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب عليها الكسل وناءت بحمل واجباتها فاستنامت للاقدار وحكمتها في نفسها تفعل ما تشاء وتختار. عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن عوائد الترف والاخلاد للراحة والنعيم فهو عجز عن العمل لا عقيدة وعلى كل حال فليس القرآن الذي يدعو اليه. اللهم إلا اذا ارادوا تفسير بعض الايات على غير ما اشتملت عليه حقيقة. الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه وافتقاره لخالقه ووجوب الخضوع له والركون لعليائه ولكن ليس ثم ما ينبيء بنبذ اجمل قوة واشرف موهبة اختصنا بها الباري سبحانه وهي الارادة.

وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا فيل وسبرنجر فلنجمع صوتي الى اصواتهما ونقول ان هذا الدين دين عمل لا فشل رغم معتقد الجمهور

وقال قستاف لوبون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب «سر تطور المادة» في كتابه «حضارة العرب» ما ياتي «القرآن لم يامر الناس بترك السعي والعمل او الانسلاخ عن خوض غمرات التنافس الحيوي فهو في هذا الموضوع لم يأتي باكثر مما في الكتب السالفة «التوراة» مثلا

يعترف نخبة من الفلاسفة ان مجرى الامور لا يلحقه تبديل ونظام الخليقة بيد مبدعه لا يعتريه تغيير فقد قال «لوثر منقح الديانة المسحية «تتفق معظم ايات الكتاب في صعيد واحد على مناصبة «الحكم الحر» (١) وهذه الايآت لا احصي لها عددا بل هي الكتاب باجمعه». وهذه عقيدة القضاء والقدر مفعمة بها الكتب الدينية لكل الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة دونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرتها لا يشكون في وقوعها فهذا اوديب حين اخبره الكاهن ان سيقتل اباه ويتزوج بامه حاول عبثا ايقاف هذا الامر فطفق يقدم في النذور وانواع القربات للالهة بدون جدوى الى ان ظربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج

(١) وتسميته بالافرنسية Libre arbitre

بامه قاتل اباه كما هو مشهور. فالنبي العربي (صلى الله عليه وسلم) لم يات بشيء عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة من بعده اي علماء العصر الحاضر فانهم يقلون كما قاله «لابلاص» و«بنيتر» «ان علما (الله) يكتنفه في طرفة عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على اتساعها وتباعد اطرافها ويحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبيرها وصغيرها دقيقها وجليلها من شانه ان لا يفوته شيء وان يكون علم المستقبل لديه كعلمه الماضي»

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين وديدن بعض فلاسفة العصر هي نوع من الصبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودرع حصينة لمكافحة النوائب والمضاضات. وقد كان العرب عاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم ثم استمر عليه المسلمون ولم تدخل في شيء من ارتقاءهم ولا من انحطاطهم

حقيقة لا خيال

بنى فلان قصرا بديع الحسن شامخ الذرى احاطت به حديقة غناء وجرت من تحته الجداول والانهار واقبلت الدنيا على ربه وناهيك بها اذا اقبلت فابتسم له ثغر الدهر وضحك له الزمان وكان على مرمى السهم منه بيت لبائس حقير عبست الدنيا في وجه ربه وحدت عنه كاشره واقسم نكد الطالع ان لا يفارقه طرفة عين يبكر المغبون بكور الغراب لطلب الرزق ويضل عامة يومه عارضا ساعده القوي للاشتغال باشق المهن واحقر الاجور وقلما وجد للعمل من سبيل حتى اذا جاء المساء اب الى بيته خاويا وان اسعده الحظ فكسرة لا تسمن ولا تغني من جوع يدخل ذلك البيت الذى عاشر الدهر حينا واحنى ظهره تطاول الايام فاصبح

كانه شيخ عابد جدرانه بين راكع وساجد وسقوفه تهوى السقوط وبالجملة فهو اوهن من بيت العنكبوت فيقتات هو وزوجته تلك الكسرة وما كانت لتقوم باودهما ولكنه الفقر يعلم صاحبه القناعة والزهد

هكذا قضى الرجلان حينا من الدهر هذا في شقاء وعناء وذاك في سعادة وهناء وسبحان من قسم الحظوظ الى يوم من ايام الشتاء مطره وابل وقره شديد وعصفت الريح من كل جانب واومض البرق ودوى الرعد ففي هذا اليوم العصيب اخذ المخاض ربة الجلال عقيلة غنينا الشهير فسعى الناس من كل حدب يتسلون وغصت قاعات القصر بما رحبت بالاطباء ووفود المهنيين وماهي إلاّ لمحة من لمحات الفكر او جولة من جولات الخاطر حتى وضعت ربة الجلال حملها واذا هو غلام جميل فالبسوه الدمقس والحرير ووضعوه فوق فراش وثير وكلفوا به خادمة امينة وخيرا حنونا وهنوا الوالد وحققوا له سعادة المولود وفي مساء اليوم نفسه وقد اشتدت الزوبعة والبرد يتساقط قطعا قطعا اخذ المخاض تلك البائسة فسعى زوجها الى جارة يعرفها من قبل والتمس منها مساعدة زوجته على وضع حملها ابتغاء مرضاة الله فصدت عنه كاشرة ورمته بكل قول بذي فرجع يتعثر في اذيال الخيبة وليس وراء ما به من الهم غاية وعالج زوجته بنفسه الى ان وضعت حملها فاذا هو غلام فتشاءموا بهذا الزائر الثقيل والبسوه اطمارا بالية وضمته امه الى جنبين لو قسم ما فيهما من الحزن على البرايا لما وجدت المسرة الى القلوب من سبيل

مضى على يومنا هذا عشرة اعوام ولا ادري كيف انقضت تلك وغاية علمي ان بانتهائها انتهت حياة ذلك البايس فحملوه فوق الالة

الحدباء وشيعوه في رجال كانجم النعش عدا واصبح الابن يتيما بائسا ولله في خلقة شئون فادخلته امه في مدرسة لجمعية من اهل البر تعلمه وتطعمه وتكسيه وذلك غاية همه من هاته الحياة واما ابن غنينا فقد جاءوا له باستاذ من خيرة العلماء واوصوه به خيرا وان يجاريه حسب هواه حيث ان العلم صناعة الفقراء وما للاغنياء من حاجة اليه فبقى الاستاذ يتقاضى اجرته والابن يغدو ويروح بين خدم ابيه وحوذيته عشرة اعوام اخرى انتها بانتهائها التعلم فخرج بمعرفة واسعة وعلم عريض لا يجهل من حروف الهجاء حرفا وان تعاصى عليه تركيبها فذلك امر عسير واما ذلك اليتيم البائس فقد شمر على ساعد الجد وواصل ليله بنهاره في التعلم حتى فاق اقرانه واحرز على شهادة التميز فانخرط في سلك المعلمين ولكنه لم يترك التعلم في اوقات الفراغ وقسم تلك الجراية التي يتقاضاها الى قسمين قسم انفقه في سبيل والدته بالمعروف وقسم ادخره ليتمم به تعليمه في الديار الغربية بعد حين وقد اتخذ الاستقامة رايدا والصدق ديدنا والعفاف شهرته بين العموم فما عثروا له على هنة وان كان ليس بمعلوم وتظافر على ولائه القوم ولاح له نجم السعادة فاضاء له الطريق فامدته تلك المدرسة التي انجبته (الصادقية) باعانة سنوية لاتمام معارفه بالديار الغربية فترك ما اقتصده لوالدته لتقوم باودها بعد رحيله وام ديار القوم ودخل كلية الطب فلنتركه يدرس هذا العلم الجليل ولنعد لابن غنينا وقد بعد العهد به وقد فقد والده اثناء تلك المدة وقامت المدينة لنعيه وقعدت واجرت عليه من العيون عيونا وأبنه الشعراء ووصفوه بكل المحاسن وافعمت اودية الصحافة وخرجت موشحة بالحداد وعلم الله ان لا فضيلة

له غير الابيض الناصع والاصفر الرنان وذلك اقصى ما يريدون وما للبشر غاية من غيره في الحياة واصبح الابن وحيدا وهو لم تحنكه الحوادث ولا ادبته مدرسة الدهر فاحدق به عشراء السوء والقوم المفسدون واولئك قوم اتخذوا البطالة صناعة وهم يترقبون بين ءاونة واخرى امثال هذا الغر الغبي فحسنوا له اللهو والخلاعة واغروا به غانية فتانة للناضرين فابهرته هاته الظواهر واغشت ابصاره اقوال المفسدين الذين ينبؤنه بان الحياة سويعات معلومة وان ليس للانسان فيها سوى ما انفقه في الطرب والنعيم فانخدع لاقوالهم واتخذ العربات الفاخرة والخيل المسومة وشاهقات القصور واصبح يقضي اوقاته بين قصور البغايا وحانات الخمور وينفق القناطير المقنطرة من الذهب والفضة على هؤلاء وهؤلاء وقد احدقت به تلك الهامة وهم يلتقطون فتاة موايده في هاته الحياة وذلك ديدنهم مع امثاله من قديم وامثال هؤلاء هم في الدنيا خزي وفي الاخرة عذاب اليم ودام المسكين على حاله الى ان نضبت الثروة ورجع على العقار يرهن هذا ويبيع ذلك ويبدد الثمن بين المواخير وحانات الخنى وكان ابن ذلك البائس قد رجع فى ذلك الحين بلقب حكيم وذاع صيته بين العالمين واقبلت عليه الدنيا وامست حياته ربيعا فاصبح ذاك يبيع القصور وهذا يشتريها الى ان اضمحلت ثروته وانفض من حوله اولئك المفسدون واصبح اذا مر بهم يتغامزون ومنهم من يقول يا له من غبي مجنون بدد ثروته بغير حساب ولو ادخرها لكان له شان غير هذا الشان والاخر يقول انه الجهل والبطالة وإلاَّ ما باله في هذا البؤس المشين يقولون هذا القول بعد ان كانوا قديما اذا قال قولا لبوه مسرعين واذا أمر أمرًا اخروا له ساجدين

ويقسمون بكل محرجة من الايمان انهم لم يروا مثله في علو الهمة والمجد الرفيع ولما راى المغبون ماله وما ءال اليه جمع تلك البقية الباقيـة من تراث ءاراد ان يجرب بالقمار حضه الاخير وما وضع تلك الـدراهم على ذلك البساط الاخضر حتى ذهبت مع الغابرين واصبح لا يملك شروا نقير فخرج الى حديقة الملهى وتمدد فوق كرسي وهو يقول سبحانك اللهم كان ابن جارنا بالامس بائسا وكنت غنيا فاحسن ابوه تربيته واساء ابي تربيتي فئال مئاله الى السعادة والغنى وءال مئالي الى التعاسة والعناء سبحانك اللهم اني انا الشقي ثم وضع مسدسة في اذنه وهو يقول

هـذا جنـاه ابي علي ☆ وما جنيت على احد

عبد الرحمن الكعاك



نبذ تاريخية

الانقلابات السياسية التي طرات على الدولة العثمانية

٣

دور التقهقر

ابتداء هذا الامد من هزيمة (زنته) السالفة الذكر (سنة ١١٨٠) وينقسم الى قسمين الاول من السنة المذكورة الى سنة ١٢٤٢ وهو تاريخ فتك السلطان محمود الثاني بعسكر الانكشارية وتعويضهم بالعساكر النظامية والثاني عصر التنظيمات وظهور المسالة الشرقية على مرسح السياسية العامة

القسم الاول

استمر التقهقر بالرغم عن فوز العساكر العثمانية في بعض الوقائع سيما على عهد احمد الثالث . ذلك ان جسم الدولة تمكن منه داء عضال فتاك بالامم والممالك ألا وهو داء الجهل وقد اسلفنا ان السلطنة كانت في دور الفتوحات ارقى الدول حربا وعلما وسياسة فكانت ممتازة على غيرها بالقوتين المادية والمعنوية اما اثناء القرن الثاني عشر وما يليه فان الدولة لم تحافظ حتى على ما احرزته سابقا من الاصول العلمية والحربية بل تأخرت وازداد تأخرها وضوحا بترقي اوروبا ترقيا سريعا في معارج العلوم والمعارف النافعة ناهيك ان صناعة الطبع التي ظهرت باوروبا في اواسط القرن التاسع واستعان بها الافرنج كثيرا على نشر المعارف لم تعرف في البلاد العثمانية إلا في اواسط القرن الثانى عشر اما الفنون العسرانية فانها كانت مفقودة تماما حتى الجغرافية التي اصبحت من العلوم الضرورية خصوصا لارباب السياسة وقادة الجيوش - حكى بعض مؤرخي الافرنج والعهدة عليه ان سبب هزيمة الاسطول العثماني في خليج ششمة بولاية ازمير (سنة ١١٨٣) هو ان الديوان العثماني ابى ان يصدق بامكان قدوم الاسطول الروسي من البحر

المتوسط ظنا منه ان لا مواصلة بين البحر المذكور ومراسي الروسيا الشمالية ولذلك لم يتأهب الاميرال حسن باشا للدفاع حتى باغته العدو ودمر اسطوله بالرغم عن بسالته وبسالة عساكره . ويروى عن الترك انفسهم ان احد قواد رجال الدولة سئل يوما عن المسافة بين عاصمة الروسيا وبين مرسى اوديسا فاجاب انها مسير ساعة او نصف ساعة (وبينهما نحو الف وستمائة كيلوميتر) وحكى احد مشاهير علماء تونس انه لما حل بالاستانة على عهد المشير الصادق باي اجتمع هناك ببعض المنتمين للعلم واخذ العالم التونسي يبرهن شرعًا وعقلا على لزوم مزاولة الفنون النافعة ومن جملتها الجغرافية فعارضه احد اولئك المتفقهين وقال مترنما على قواعد التجويد :

(في اي كتاب من كتب الفقه رايت ان علم الجغرافية حلال) فقال له الشيخ بنفس اللحن المذكور (وانت في اي كتاب رايت ان تعلم الجغرافية حرام) . اما الآن فقد تحسنت الحالة وارتقت درجة التعليم بالدولة العثمانية ولكنه تقدم نسبي لم يزل بينه وبين ما بلغت اليه الامم الراقية باوروبا بون بعيد يدلك على ذلك انها الى اليوم في حاجة الى الاجانب لتنظيم ادارتها ومد طرقاتها واستخراج معادنها وصنع اسلحتها وبناء اساطيلها وغير ذلك من وسائل القوة والعمران

وزاد الطين بلة ان الدولة كانت تحكم باوروبا اممًا مسيحية مخالفة لها في الدين والجنس فكان من الضروري لتكوين وحدتها وابقاء سلطتها اما اكراه تلك الامم على الاسلام كما فعل الاسبانيول مع المسلمين واليهود بالاندلس واما ان تقربها من العنصر العثماني بتأثير القوة المعنوية وهي قوة التعليم العثماني المحض ولكنها لم تفعل هذا ولا ذاك فالاول لمنافاته لاصول الشريعة الاسلامية وعهد الذمة ولذلك لما استولى السلطان محمد الثاني على الاستانة اعلن باحترام شعائر رعاياه من غير المسلمين وابقى مجالسهم الدينية ورؤساءهم الرومانيين وقد حاول السلطان ياوز سليم جبرهم على الاسلام فعارضه

العلماء بآية لا اكراه في الدين وكذلك وقع على عهد السلطان ابراهيم واما التعليم العمومي على الطريقة التي نهضت بها اوروبا فان الدولة لم تلتفت اليه ولم تمنحه لرعاياها المسلمين فضلا عن غيرهم إلاّ في عصر التنظيمات اي في اواخر النصف الاول من القرن الثاني عشر - وفي الحقيقة ان بعض نجباء السلاطين وعقلاء وزرائهم حاولوا مراراً ادخال روح النظام للممالك العثمانية علميا وعسكريا فكان جزاؤهم من المتفقهين المنتمين للعلم ومن الانكشارية الخلع تارة مثلما وقع للسلطان مصطفى الثاني والقتل اخرى كما جرى للسلطان العادل سليم الثالث ولكثير من نبهاء الوزراء ومن جهة اخرى كان الرعايا المسيحيون يرسلون ابناءهم الى مدارس اوروبا يكرعون من مناهلها العلمية المجهولة لدى المسلمين ويعودون الى اوطانهم بافكار جديدة وآمال سياسية وقد ارتكز في اذهانهم وبثوا في بني جلدتهم انهم ارجح ادراكا من ساداتهم العثمانيين وانهم اولى بتدبير مصالح قومهم واقدر على سلوك سبيل المدنية والعمران . وهذه الروح الجديدة التي تولدت من الخارج في جثمان العنصر المسيحي العثماني كانت من اكبر العوامل على التمرد والعصيان ثم الانفصال على جسم الدولة والاستقلال باعانة الدول المسيحية كما فعل الصرب ورومانيا ثم اليونان ثم البلغار - ومن التساهل العجيب الذي لا نظير له في الدول المستقلة ان الدولة لما فتحت مدارسها سمحت ايضا لرعاياها المسيحيين بانشاء مدارس مستقلة تحت رعاية المجالس الملية المسيحية تبث فيها من العلوم ما شاءت دون مراقبة من الحكومة ولا مراجعة - وغالب المعلمين بتلك المدارس كانوا من الاجانب او من المتخرجين من المدارس الاجنبية فلا غرو ان كان اساس تعليمهم التنفير من السلطة العثمانية والتحريض على السعي لاسترجاع مجدهم واحياء دولهم المندثرة والحصول على نعمة الاستقلال - وبهذا التساهل القبيح الذي لا منشاء له إلاّ الجهل وعدم الادراك السياسي من غالب ذوي السلطة بالدولة العثمانية فات المقصود من احداث المدارس التركية وهو توحيد التعليم لكافة العثمانيين وتكوين جنسية عثمانية جالبة للقلوب مؤثرة على النفوس

وبما شرحناه تعلم كيف كان الاتراك بين اولئك الاقوام عبارة عن فئة غريبة شاكسة السلاح ليس لها ادنى رابطة برعاياها من اهل الذمة لا دينا ولا جنسا ولا مصلحة ولا مشربا سياسيا وانما كانت لها عليهم سلطة اساسها الغلبة والفتح ودعامتها القوة المادية وهي قوة السيف فما دام هذا السيف حادا ماضيا قاطعا قويا دام هيكل تلك السلطة مكتنفا لتلك الامم طوعًا اوكرهًا ـ لكن لما فل السيف وحل الضعف محل القوة دكت الدعائم وهوى الهيكل وانفلت من كان تحته فرحًا جذلانا آويا الى هيكله الجديد الذي عجنت طينته بدمه ودماء الآخذين بناصره من عساكر بعض الدول المسيحية العاملة على اركاس العثمانيين ـ هكذا سقط هيكل الدولة التركية الاسلامية باوروبا وهكذا اقيمت على اطلاله هياكل الدول المسيحية البلقانية لهذا العهد ـ وكذلك ولنفس تلك الاسباب دك من قبلة بنيان السلطة الاسلامية والمدنية العربية بالاندلس والله يؤتي الملك من يشاء.

هذه اهم الاسباب الداخلية في تقويض اركان السلطة التركية باوروبا ـ وهناك سببان عظيمان خارجيان وهما ظهور دولة الروسيا وتحزب غالب الدول المسيحية ضد الدولة التركية لانها دولة اسلامية ذات سلطة على طائفة من المسيحيين

***

الروس امة صقلبية (سلافية) كان مقرها بالجهة الوسطى والشرقية من الروسيا الحالية وكانت الى القرن الرابع الهجري امة همجية وثنية لا تكاد تذكر بين الامم وفي اواسط القرن المذكور ارسل ملكها (فلاديمير) بعثة الى بغداد عاصمة العباسيين واخرى الى القسطنطينية قاعدة الروم ويقال ان القصد من البعثتين النظر في الديانتين الاسلامية والمسيحية. ولما علم ان الاسلام لايبيح شرب الخمر قال هذا الدين لا يليق بنا ونحن في بلاد شديدة البرد واعتنق هو وقومه الديانة النصرانية على مذهب الروم الارتودوكس ـ ثم انقسمت الروسيا الى عدة ممالك ترجع الى ملك كبير عاصمته مدينة (كياف) وكثرت الفتن بتلك الممالك فوقع ما كان منها

بالغرب تحت نفوذ بولونيا والمانيا وهجمت جيوش جنكس خان التتاري على الجهات الجنوبية والشرقية تحت قيادة (باطوخان) فاستولوا على البلاد وضربوا على امرائها الجزية والخراج (سنة ٦٢٢ للهجرة) وفي القرن الثامن تزلف امير مدينة موسكو لخاقان التتار واضهر الاخلاص والاجتهاد في استخلاص الضرايب الراجعة للتتار المذكور فانعم عليه الخاقان بلقب الامير الاعظم وبذلك صار اكبر امراء الروسيا وصارت مدينة موسكو اهم المراكز الروسية ولم يزل امراءها يضمون اليها بقية الممالك الصغرى تارة بالحروب واخرى بالمعاهدات الى ان جمعوا كلمة الروس واصبحت مدينة موسكو عاصمة تلك البلاد وكان التتار بعد الفتح قد انقسموا على انفسهم واحدثوا ممالك اهمها مملكة قازان ثم مملكة الكرم ثم مملكة استرخان وفي سنة ٧٨٣ حاول ملك الروس التخلص من نير التتار فهجم عليه (طقتميش) امير التتار القجق في جيش جرار وهزمه شر هزيمة واحرق مدينة موسكو فعاد الروس الى الطاعة ولم يزالوا تحت سطوة التتار الى ان اتحد ملك الروس (ايفان الثالث) مع ملك التتار بالكرم على ملك القجق فانهزم هؤلاء وانقسمت مملكتهم وتخلص الروس من سلطتهم سنة ٨٨٤ ومن ذلك العهد اخذت الممالك التتارية في التقهقر الى ان استولى عليها الروس في اواسط القرن العاشر عدى مملكة الكرم التي كانت تحت حماية الدولة العثمانية ولم تسقط الا في اواخر القرن الثاني عشر والعبرة في هذا الباب امران الاول ان التتار وان ثقلت وطأتهم على الروس إلاَّ ان سطوتهم هي التي منعت المانيا وبولونيا من القضاء على مملكة الروسيا الناشئة فالتتار اذلوا الروس ونفعوهم في آن واحد والثاني ان الروس كانوا يدفعون خراجا الى تتار القجق ثم الى تتار الكرم وهؤلاء كانوا يدفعون خراجا الى السلطنة العثمانية وبهذا تعلم منزلة الروس اذ ذاك بالنسبة للعثمانيين ودام هذا الحال الى اواسط القرن العاشر ثم لم تلبث الروسيا ان صارت قوية الاركان فدمرت ممالك التتار واستولت على بعض البلاد العثمانية بآسيا ووالت الحروب على الدولة

فكانت من اقوى العوامل على تكوين الممالك البلقانية بعد ان كانت ولايات عثمانية فسبحان محول الاحوال.

كيف تزوجت فاطمة بنت محمد

من المقرر لدى علماء العمران ان مستقبل كل امة منوط ابتداء بهذين الامرين: السكان - والمكان، اي كثرة السكان وخصب واتساع المكان، وذلك ان الامة لا توسس عظمتها إلاَّ على افرادها ونتائج ارضها.

فاذا كانت ذات ارض قاحلة اوضيقة كانت منحطة من الوجهة الاقتصادية لشدة احتياجها الى الاستيراد بدون ما يقابله من الاصدار - واذا قلت افرادها حقرت وكانت هدفا لجميع المصائب السياسية. اما اذا زادت الارض على السكان فاختلت بينهما النسبة الطبيعية اللازمة لسعادة السكان فان كنوز الارض تبقى مدفونة مغبونة وتمتد اليها ايدي المطامع الاجنبية

ولخدمة الركن الاول من ذينك الركنين وضعت الامم الراقية قوانين الزواج التي من شانها تكثير النسل ومد رواق العمران. فتعاظم عددها بكيفية غريبة في امد يسير. - وكان الزواج في العصر الاسلامي الاول بسيطا جدا حتى قال النبيء (صلعم) لمن اراد تزويجه وليس معه شيء يعطيه مهرا « التمس ولو خاتما من حديد » ولما لم يجد ساله هل يحفظ شيئا من القرءان فسمى سورا فزوجه بها. وكان المسلمون واقفين في ذلك عند حدود التعاليم الشرعية لا يتفاخرون بالثياب والرياش ولا يتباهون

بالدنايا والسفاسف ولا يهمهم إلاّ تكثير عدد افراد الامة الاسلامية ونشر الاخلاق الطاهرة والاداب العالية

فكانت النتيجة ان انتشر الاسلام انتشاره العظيم وعرف اهله بالنزاهة وطهارة الاخلاق والانساب

فهل نحن معاشر المسلمين من التونسيين نجري في اقامة ذلك الركن العمراني العظيم على مقتضى السنن الشرعية او القوانين العصرية ؟ كلا – فانا نسير بهمجية كبيرة. وتهور عظيم. تقودنا عادات سخيفة. وتتحكم فينا آراء صبيانية. كان لا شرع نقتفيه ولا عقل نستهديه. ولا ذوق نحكمه فنتكبد نفقات طائلة قد نبيع فيها ما نملك من الارض والربع. ليس إلاّ لارضاء شهواتنا ونسائنا واقامة تقاليدنا وعاداتنا ولو كانت مباينة للشرع بعيدة من الرشد – فلا غرو ان نتجت هاته النتائج المحزنة : (١) بقي عدد كبير من البنات في بيوت آبائهن بلا زواج. مرموقات بالاستثقال مستهدفات لتضييع الشرف. معطلات عن النسل وافادة الجامعة القومية (٢) ومال الناس الى البغاء والفحشاء بصورة مزعجة ليس من ورائها إلاّ فساد الاخلاق وذهاب المروءة وضياع الثروة وهدر الوقت والاشتغال عن النافع وضعف الامة وتلك لعمرى اسباب طبيعية للسقوط والاضمحلال « ٣ » وبدل ان ينمو عدد الامة التونسية علها ترجع الى ما كانت عليه زمن الرومان كان واقفا او متدليا.

اني رغم شغفي بالحرية الشخصية اتمنى لو ان الحكومة تضع قوانين للزواج تغل بها ايدي المتغالين المتباهين وتقضي بها على العوائد المنافية لروح المدنية وتنشط على الزواج والتناسل – وقبل ان يكون ذلك اذا

اردنا ان نصلح خللنا من هاته الجهة وجب علينا اربعة امور :- ١ - ان لا نتكلف نفقات فوق المجهود ولا نطلبها بل نتساهل في شون الزواج من الجانبين بما يدعو الناس للاقبال عليه (٢) وان نكون مستقلي الفكر لدى النظر في مصالحنا لا تضلنا خرافات النساء او شهوات الابناء (٣) وان نمحص عوائدنا تمحيصا تاما بمنتهى الشجاعة والارتياح فما خالف الشرع طرحناه . وما باين الذوق السليم او المصلحة تركناه . واتينا بغيره ذينك على قدر المستطاع (٤) وان نربي بناتنا تربية صحيحة يفقهن بها معنى العيش الزوجي فلا يقلقن ازواجهن باقتراحات فوق الطاقة ولكن ينفقن ويستنفقن بالمعروف ويشاطرن في السراء والضراء

واليكم ما جرى في زواج علي ابن طالب بفاطمة افضل نساء العالم لعلكم تعتبرون

« في اواخر السنة الاولى للهجرة وفاطمة في الخامسة عشرة من عمرها خطبها ابو بكر لنفسه ثم عمر فسكت عنهما رسول الله او قال انتظر بها القضاء فدعيا علياً لخطبتها قال فنبهاني لامر فقمت اجر رداءي حتى اتيت النبي (صلعم) فقلت تزوجني فاطمة قال عندك شيء فقلت فرسي وبدني (درعي) فقال اما فرسك فلابد لك منها واما بدنك فبعها - فباعها من عثمان بـ ٤٨٠ درهما ثم ردها عثمان عليه فجاء بها مع الدراهم الى رسول الله فدعا لعثمان - وبعد هذا الركون اوحى الله الى رسوله بتزويج فاطمة من علي فامر خادمه انساً « في المحرم او صفر او رجب او رمضان من السنة الثانية للهجرة » ان يستدعي له ابا بكر وعمر وجماعة من الانصار ومثلهم من المهاجرين سماهم فلما استوى بهم المجلس القى فيهم هذه الخطبة

العظيمة التي لا ادري لماذا لا يتحداها الخطباء: « الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته، المطاع المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ امره في سمائه وارضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم باحكامه، واعزهم بدينه، واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم - ان الله تبارك اسمه، وتعالت عظمته، جعل المصاهرة سببا لاحقا، « لازما » وامرا مفترضا، اوشج « اوصل » به الارحام، والزم به الانام، فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا، فامر الله يجري الى قضائه، (ارادته ايجاد العالم على نظامه العجيب) وقضاؤه يجري الى قدره، (تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها) ولكل قضاء قدر، ولكل قدر اجل، ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده ام الكتاب، ثم ان الله تعالى امرني ان ازوج فاطمة من علي ابن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة ١٩٢٠ غراما او فرنكات ٠٠ «٣٨٤ وهي ليست مهر مثلها) ان رضي بذلك » ثم استحضر طبقا من بسر وقال لاصحابه انتهبوا (الانتهاب اكل الجماعة الشيء على غير اعتدال) ودخل علي فتبسم رسول الله في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ان رضيت بذلك فقال رضيت بذلك يا رسول الله فقال جمع الله شملكما، واعز جدكما، وبارك عليكما، واخرج منكما كثيرا طيبا - وامر ان يجعل ثلث المهر ثمن طيب والباقي في الثياب فاتخذ لها سرير مشروط واربع وسائد ثنتين من صوف وثنتين من ليف وقربة وخميلة (بساط له اهداب) وفي رواية كان لهما فرشان احدهما محشو بليف والاخر بجذاء الحذائين - ولما كانت ليلة البناء (في ذي الحجة

لاشهر ٢٢ من الهجرة) قال رسول الله لعلي لابد من الوليمة فكانت من آصع شعير رهن علي فيها درعه وآصع ذرة بذلها جماعة من الانصار وكبش تبرع به سعد . مع تمر وحيس (تمر واقط) وبعث اسماء بنت عميس الى دار علي لتهيئة البيت ولما صلى العشاء الاولى ارسل فاطمة الى بيت زوجها مع ام ايمن بركة الحبشية مولاته وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك - فلما صلى العشاء الاخرة اتى بيت علي فقال اههنا اخي وكانت ام ايمن مع فاطمة بجانب من البيت وعلي بالجانب الاخر فقالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك ؟ قال نعم هو كاخي في المنزلة والمواخاة التي سلفت بيننا في الدين لا في النسب والرضاع - ودخل فقال لفاطمة ائتني بماء فقامت الى قضب (اناء من خشب ليس بذهب ولا فضة) فيه ماء فاخذه ومج فيه ثم قال تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى راسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي ثم قال ادخل باهلك باسم الله والبركة . فاضطجعا ليلة زفافهما تلك على جلد كبش وهي في في السادسة عشرة من عمرها وعلي في الخامسة والعشرين - ولم يدخل عليهما رسول الله إلاّ في غداة اليوم الرابع حيث وجدهما في لحاف واحد فقال كما انتما وجلس عند راسهما ثم ادخل قدميه وساقيه بينهما فاخذ علي احداهما ووضعها على صدره ليدفيها وفاطمة الاخرى كذلك - وجاءهما في بعض الايام وقد أخذا مضجعهما فارادت فاطمة ان تقوم فقال على مكانكما قالت فاطمة فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وكانت ذهبت اليه لتطلب جارية تحمل عنها الم الطحن فقال لهما في هاته الجلسة

الا اعلمكما خيرا مما سالتماني فقالا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل (اذا اخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم) صلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وسلم



تذاكر البنوك

كيفية معرفة الصحيحة منها من المدلسة

ان كاغذ تذاكر البنك الفرنساوي رقيق بالنسبة لغيره ابيض اللون يرن عند المس ليس به ادنى عيب من حيث الصناعة اي انه لا يوجد به نتؤ ولا وسخ في عجينه ولا ثقب اصلي وهذه الخاصيات لا تفقد منه بالقدم وكثرة الاستعمال فكل تذكرة بها عيب يؤثر على المس او النظر تمزق بمعمل البنك ولا تبرز للخارج على ان كاغد التذاكر يتغير لونه بحسب الوسط الذي يوجد به فاذا بل مثلا بالمواد الدهنية تفقد منه خاصية الرنين كما انه يمكن تخريبه بالمساسك ولكن لا توجد به غلضة عجين البته وتشاهد على الكاغذ صور رسمت حين صنعه اي عند ما كان عجينا ولتلك الصور حروفا كانت او اشكالا ثلاثة الوان وهي لون الكاغذ الاصلي ولون طاف ولون حالك واذا كانت الصورة ذاتا او شبحا طبيعيا فان لون ضله ينطفي قبل ان ينقطع تماما ولا يمكن الحصول بواسطة آلة مكانيكية على صورة تماثل صور تذاكر البانك المرسومة اثناء العجن البطي التجمد

اما وزن التذاكر فهو محدود لا يتغير عند صنعها إلاّ بنزر لا يذكر والتسامح في تغيير وزنها لا يمكن ان يتجاوز (١٦) صانتغراما تحت مقدار وزنها القانوني ولا اقل منه بخمس عشرة صانتيغراما و ذلك فيما يخص تذاكر الف فرنك وخمساية فرنك والتسامح في تذاكرماية فرنك لا يكون اقل من (٥) صانتغرام تحت وزنها القانوني واكثر من (١٠) فوقة وان وزن تذاكر البنك الفرنساوي يساوي

تذكرة الف فرنك	« ١٠٥٣
» خمساية فرنك	« ١٠٧٥
ماية فرنك	« ١٠٠١

وقد يتغير وزن التذكرة الكثيرة الاستعمال بحسب مساحتها ويمكن ان يبلغ مقداره «٧٥ ميليغراما وعليه فان التذكرة الصحيحة تكون خالية من جميع عيوب الطبع والصور والحروف والارقام والنياشين حيث يلزم ان تكون مدققة الصفاوة وهذه الجزية يتعذر تقليدها على المدلسين الى الان

وبعد طبع التذاكر يتامل منها واحدة بعد واحدة والتي يوجد بها اقل عيب تحرق بحيث ان الانسان المتفطن لا تذهل عليه التذكرة المدلسة من الصحيحة اذا كانت جديدة ولكن اذا قدمت التذكرة ينقص من خصايصها البديهية وان المدلسين يعرفون ذلك المقدار ولذلك يثنون ويمسخون التذاكر المدلسة وفي الغالب يمزقونها عمدا ثم يرمقونها ويغطون العيب الموجود بها وعليه ينبغي التامل من التذاكر القديمة اكثر من الجديدة الخارجة من تحت الطبع ومما يلزم ان يعتبره الانسان هو ان القدم لا يغير صفاوة الطبع والحروف ونياشين التذكرة

وكل تذكرة من تذاكر البنك الفرنساوي لها عددان كل عدد مكرر مرتين ويسبق واحدا منهما حرف من الحروف الهجاية الفرنساوية فلنفرض ان احد العددين المسبوق بحرف هو (٦٠) وان الحرف P والاخر الغير المسبوق (٩٠٢) فيضرب العدد المسبوق بالحرف في مائة فيصير (٦٠٠٠) ثم يقسم الحاصل على اربعة فيكون الخارج (١٥٠٠ ثم يطرح من ذلك الخارج العدد الدال على رتبة الحرف المذكور ابتداء من الحرف الاخير من الحروف الهجاية وفي صورة الحال رتبه P هو (١١) فيطرح ذلك العدد من (١٥٠٠) فيبقى (١٤٨٩) ثم يكتب على عين العدد الثاني الخالي عن الحرف اي (٩٠٢) فيحصل على (١٤٨٩٩٠٢) فيماثل هذا العدد بالعدد المرتسم بوسط التذكرة بين تصحاحي القابض الاول والكاتب العام للبنك فان تساويا صحت التذكرة وان اختلفا فالتذكرة مدلسة

كلمة في تاريخ التمثيل

ما هو التمثيل ؟ لا يمكن وضع حقيقة عامة للتمثيل وذلك لتعدد انواعه وكثرة فروعه فالروايات التمثيلية تشخص تارة واقعة تاريخية وتارة احساسات وانفعالات نفسانية وكثيرا ما تتضمن وصف حالة اجتماعية او انتقاد نقايص بشرية الخ ....

اهمية التمثيل - يشغل هذا الفن جزءا عظيما من آداب الامم المتمدنة قديما وحديثا لان الادب لا ينحصر فى القصايد والقوافي والمقامات والخطب ورقيه منوط باتساع دائرة مواضيعه ولذا يمكننا ان نقول بكل الاسف ان الادب العربي كان ولا زال في انحطاط بالنسبة لاداب الامم الراقية رغما عما بلغته امة العرب من المدنية ذات الانوار الساطعة ورغما عن غزارة وطلاوة الفاظ اللغة العربية ودقة معانيها وما ذلك إلاّ لكون السلف الصالح لم ينقل عن اليونانيين إلاّ العلوم العقلية والوضعية وضرب صفحا عن علم الادب اليوناني

ولذا يجب علينا ان نستدرك ما فات ونسد ما في ادبنا من الفراغ اذا اردنا ان نحافظ على لغتنا من التلاشي وكل يعرف ان الحياة القومية منوطة بحياة اللغة . ومن اهم ما يجب ادخاله في الادب العربي التمثيل لانه يشمل كل موضوع هام وبواسطته يمكن بث كل ما يراد بثه بين الخاص والعام من اراء فلسفية واخبار تاريخية ومبادي اخلاقية واصول عمرانية وأداب عائلية وغير ذلك

تقسيم التمثيل : اجمع الادباء على تقسيم الروايات التمثيلية الى قسمين عظيميين : الروايات الفاجعة ـ والروايات المضحكة وتعرف الاولى عند الافرنج بلفظة (Tragédie) والثانية بلفظة (Comédie) ترجيديا وكوميديا ولكل من هذين القسمين فروع شتى واول من الف فيهما اليونان

التمثيل عند اليونان

الرويات الفاجعة

اول الروايات الفاجعة اليونانية الفت في السادس قبل المسيح وكانت عبارة عن اناشيد ممزوجة باشارات ورقص وفي سنة ٥٣٠ ق . م . اضاف الشاعر تيسبيس لجوق المنشدين شخصا يسرد شعرا يجيبه عنه المنشدون فتولدت من ذلك المحادثة المرسحية المعبر عنها عند الافرنج بلفظة ديالوق (Dialogue)

وفي سنة ٥٠٠ ق . م . وضع الشاعر الشهير ايشيل اساس الرواية الفاجعة التي لا زالت اصولها باقية والتي كانت مثالا نسج على منواله الادباء في كل زمان ومكان

وهذا الشاعر جعل جمع المنشدين يقوم بادوار ثانوية في مؤخر المرسح وهو الذي ادخل على التمثيل الملابس والمناظر ثم تلاه صوفوكل (Sophocle) وادخل على الرواية الفاجعة تحسينات كثيرة منها جعل المحاورة المرسحية تدور بين ثلاثة اشخاص فازدادت بذلك رونقا وافادة

وفي سنة ٤٤٠ ق . م . بلغ التمثيل عند اليونان اقصى درجات الرقي وذلك بفضل الشاعر اوريبيد (Euripide) وروايات هذا الشاعر كانت عبارة عن وصف حوادث مرتبطة بعضها ببعض ومراعا فيها شروط

الوحدة وهي وحدة الزمان ومعناها ان الحادثة المشخصة على المرسح يشترط تصور وقوعها في زمن واحد كيوم واحد ثم وحدة المكان وهو اشتراط وقوع الحادثة في مكان واحد كقصر مثلا ووحدة العمل التي تقتضي التباعد عن تكثير الحوادث وتشعيبها بحيث يكون قطب رحى الرواية حادثة واحدة وسيرى القاري كيف جعل اصحاب الطريقة المدرسية بفرنسا هذه الشروط ديدنهم ولم يحيدوا عنها قيد شبر

ومن مؤلفات اوريبيد رواية « هيبوليت »(Hipolyte) و« اندروميد » (Andromède) واوريست (Oreste) ويقال انه الف اثنين وتسعين رواية وكان اوريبيد من المقربين عند اركلايس ملك مقدونيا الذي افاض عليه النعم كما كانت له مكانة عظمى لدى ابناء جلدته الذين لبسوا الحداد لوفاته واقاموا هيكلا عظيما تابيدا لذكره

وسوفوكل السالف الذكر كان يضاهي اوريبيد في المقدرة والبراعة ومن رواياته « اوديب » و« اجاكس » و« فيلوكتيت » الخ وقد الف فيما يقال احدى وثمانين رواية

وكثيرا ما نسج اصحاب الطريقة المدرسية بفرنسا على منوال الروايات اليونانية ولم يتحاش بعضهم عن نهب معانيها ونسبتها الى انفسهم

الروايات المضحكة

للروايات المضحكة عند اليونان ثلاثة ادوار ففي الدور الاول كان يقع تمثيل اشخاص من الاعيان مع المحافظة على اسمائهم وذلك لانتقاد اعمالهم وارائهم في قالب هزلي والذي برع في هذا النوع الشاعر اريستوفان (Aristophane) الذي ترك اربعة وخمسين روايه تلاشى

غالبها ومن اشهر رواياته « الفراسان « لمتضمنة الانتقاد على استبداد كليون الذي كان رئيسا لحزب سياسي ورواية « الاسحبة » التي هجا بها الحكيم سقراط ورواية« الزنابير » التي اقتبس منها الشاعر الافرنسي راسين روايته المسماة « الخصوم » الخ ولقد حصل من تمثيل روايات اريستوفان تاثير عظيم حمل حكومة اليونان اذ ذاك على منع تسمية الاشخاص المراد انتقاد اعمالهم باسمائهم فاضطر اريستوفان الى اتباع طريقة جديدة افتتح بها الدور المتوسط في هذا الدور كانت تعطى اسماء مستعارة للاشخاص الموجهة اليهم سهام الانتقاد ولكن كانت توضع على وجوه المشخصين وجوه استعارية تمثل سيماء الاشخاص المراد انتقادهم بحيث لا يشق عن المتفرجين معرفتهم

اما في الدور الاخير فموضوع الروايات المضحكة هو انتقاد عيوب ومساوي عامة بشرية كالبخل والحسد والنفاق بقطع النضر عن الاشخاص الملموزين بها واشهر مؤلفي هذا الدور ميناندر (Ménandre) الذى مات غريقا بمرسى البيري ولقد بنى اليونانيون مراسح فخيمة لا زالت اطلالها قائمة تشهد بما كان لهاته الامة من الاعتناء بفن التمثيل الجميل واول مرسح اقيم في بلاد الاغريق هو مرسح ديونيزوس الذي وقع الشروع في تشييده سنة ٥٠٠ ق . م . ولم يتم بناءه إلاَّ في سنة ٣٤٠ ق . م . اي بعد مضي مائة وستين عاما وبناء المراسح اليونانية كان على شكل ثلثي دائرة وكان الجزء العظيم من مساحتها مشغولا بدرجات على شكل هلال معدة لجلوس المتفرجين وفي اسفل الدرجات المكان المختص بجماعة المنشدين وعلى مسافة منه المرسح الذى يقوم فيه الممثلون

بتشخيص الروايات والمراسح اليونانية كانت خالية عن السقوف لان التمثيل عندهم كان يقع نهارا وفي الغالب صباحا من الساعة العاشرة الى الزوال

اما الممثلون فكانوا كلهم ذكورا ولا ادري ما سبب ذلك كما ان حضور النساء تمثيل الروايات المضحكة كان ممنوعا بتاتا

التمثيل عند الرومان

غير خفي ان الرومانيين كانوا الوارثين لهيكل التمدن اليوناني ولذا اقتفى الرومان أثر الاغريق في التمثيل وفي اول امرهم اقتصروا على تشخيص الروايات المترجمة من اليونانية ولكنهم لم يلبثوا إلاَّ قليلا حتى بلغ عندهم هذا الفن درجة عظيمة من الرقي لتقدير ادبائهم اياه حق قدره ولشغف الشعب به واول مبتكر عند الرومان في التمثيل هو الشاعر نايفيوس (Naevius) الذي الف روايات ذوات صبغة وطلاوة رومانية لفضاً ومعنى ثم تلاه وفاقه انيوس (Ennius) وباكوفيوس (Pacuvius) واتيوس (Attius)

فالاول كان مقلد لطريقة اوريبيد اليوناني وكانت رواياته تمتاز بتاثير معانيها وعذوبة الفاظها التي يمكن ان يقال انها من السهل الممتنع والثاني وهو باتوفيوس كانت رواياته فلسفية تهذيبية تشهد بتبحر مؤلفها في العلم والحكمة كما انها امتازت بما اظهره فيها من طول الباع في الاخلاق والاشياء . اما روايات الثالث فكانت تمثل اصالة الراي وشدة صدق اللهجة

ومن اشتهر بعدهم (اوويد) (Ovide) الشاعر الروماني الجليل الذي

نظم قصيدة (Aro Amatorio) اي فن العشق التي اغضبت عليه الامبراطور غسطس وكانت سببا في ابعاده من رومة ومن رواياته رواية ميدبا التي م يوجد لها اثر سوى بعض منتخبات منها نقلها مؤرخوا الرومان

ثم سينيك (Senéeo) وكان شاعراً وفيلسوفا من المقربين لدى الامبراطور نيرون المشهور بالقساوة وسفك الدماء ولقد غضب هذا الطاغية على سينيك وجبره على الانتحار ومن غريب الصدف ان سينيك له تاليف برّر فيه الانتحار

واقتدا. باليونانيين اقام الرومانيون مراسح من الفخامة بمكان لازال غالبها قائم البناء كمرسح الكوليزي بروما ومرسح نيم بفرنسا ومرسح الجم ببلادنا وتسمى المراسح الرومانية « امفيتياتر » (Amphithéâtre)



اللغة العربية والاسبان

(١) شبه جزيرة اسبانيا واقعة بالجنوب الغربي من قارة اوروبا يحدها شرقا البحر المتوسط وغربا المحيط الاطلنتيكي والبرتغال وشمالا سلسة جبال البرينات ويفصل بينها وبين افريقية مضيق جبل طارق جنوبا وعاصمتها اليوم مدينة مدريد (مجريطة)

(٢) وسكانها الاقدمون شعوب لا يعرف اصلها على التحقيق تسمى الايبر ثم انشأ فيها الفنيقيون مستعمرات تجارية ونقلوا اليها شيئاً من مدينة الشرق ومن مستعمراتها مدن قرطبة وابديرة وصالمبنية ومالقة وغيرها

ولما استولى بختنصر على مدينة صور صارت اسبانيا التي كانت تسمى يومئذ بابيريا تحت حماية قرطاجنة بنت صور الكبرى فاستخرجت منها القصدير وغيره من المعادن واستعملت رجالها تحت رايتها في حروبها العديدة وهناك بنى عبد ملك الارض (املكار) مدينة قرطجنة او قرطاجنة الحديثة Carthagonnovo ومن هناك مر ايضا حنبعل ابن املكار للزحف على ايطاليا بجيوشه الجرارة . ولما انتصر الرومان على القرطاجنيين في الحرب الفنيقية الاخيرة صارت اسبانيا كقرطاجنة مستعمرة لرومية وقليلا قليلا انتشرت اللاتينية هناك بانتشار النصرانية

ثم هاجم البرابرة (١) اوروبا في القرن الخامس بعد الميلاد وبعد التهدد الطويل زحفوا اخيراً على اسبانيا ومنهم الالان يقودهم اطاص والسويف يقودهم عمريق والوندال تحت قيادة غندريق فعاثوا فيها فسادا بالقتل والحرق والنهب ثم هاجمها الغوط فصارت بلادا قوطية ودخل الغوط في النصرانية وذهبوا فيها اشياعا ومذاهب

امتلك العرب افريقيا ولم يبق لهم إلاّ امتلاك اروبا فاستشار موسى ابن نصير والي القيروان الوليد ابن اليزيد فاذن له فكتب لطارق بن زياد البربري

---

(١) هي الامم المتاخمة للسلطنة الرومانية التي لم تؤثر فيها اللاتينية

وعامله على طنجة يامره بتجهيز جيش لفتح الاندلس وربما كان ذلك بايعاز من يوليان والي سبتة فجهز طارق جيشا يحتوي على عشرة آلف مقاتل وذهب به وبعد ان اجتاز البحر احرق السفن فلم يبق للمجاهدين إلاَّ احدى الموتتين الغرق او النار فاختاروا الامام ثم سار طارق و التقي الجيشان في سهل يقال له وادي لية بالقرب من شريش وكان الجيش الاسلامي خليطا من عرب وبربر والجيش الاخر من قوط وغيرهم من عناصر اسبانيا تحت قيادة الملك المغتصب لذريق فالتحم القتال ودام قيل ثلاثة ايام ثم انتصر العرب ومات لذريق قيل قتله طارق وقيل القى بنفسه في النهر خوف الاسر

وامتلك العرب كل اسبانيا بعذ ذلك بقليل وكانت لهم فيها فيما بعد دول عظمى ومدينة زاهرة وكانت اسبانيا يوم النهضة الاروبية La renaissance معبر التمدن الاسلامي من عند اهله الى اوروبا

ولكن ابى الله إلاَّ ان يخرج الاسلام من تلك البلاد فانبث الشقاق وتغلب العدو بتاثير الاناشيد الحماسية وغير هذا من الاسباب فكمل الانجلاء الاسلامي على عهد فرديناند وايزبيل وكم نكث النصارى في ذلك من عهود وكم برهنوا على تعصبهم الديني وكم صارت من اضتهادات تحاكي توحش الهوكانتوت في جنوب افريقيا ان لم تكن اتعس حالا وقد كان كل هذا صحيفة سوداء في تاريخ اسبانيا النصرانية ولما خرج محمد ابن الاحمر من غرناطة اخذ يبكي على ذهاب ملك اجداده فقالت له امه عائشة (ابكي اليوم بكاء الثكلاء ملكا لم تدافع عنه دفاع الرجال)

٣ ـ الادب ينقسم الادب الاسباني الى قسمين الادب الاجنبي والادب الاسباني الحقيقي واذا كتب انسان تاريخ هذا الادب فلابد ان يرجع الى اقدم العصور وقد ظهر بين الاسبان على عهد الاستلاء الروماني نبغاء منهم سنيك ولوقان وكونت ليان وفلوروس وغيرهم ـ ولما دخل الغوط اسبانيا بعد انتزاعها من ايدي الرومان مكثت اللاتينية على حالها اذ اعتنق الغوط الديانة المسيحية وبذلك يستعملون

ضروة لغة رومية في امر ديانتهم ولهذا السبب ترى الكتب العديدة في الاختلافات التي قامت اذ ذاك بين المذاهب النصرانية مؤلفه بتلك اللغة

ثم لما اتى العرب ارتكزت اللغة شيئا فشيئا في البلاد وذهب الغـوط وسواهم باللاتينية الى جبال اشتوريا وهناك استبدلوها بمرور الايام بلغة قشتالة التي صارت فيما بعد لغة الاسبان

لم يمض قرن على الاستيلاء العربي حتى ينعت غصون الادب ولاحت ثمارها فانتجت ابن زيدون وابن عبدون وابن عبد السلام صاحب كتاب الدر المنظوم وابن خفاجة والشاعر الكبير ابا اسحاق ابراهيم ابن سهل صاحب الموشحات البديعة الذي ينسب اليه الاسلام بعد اليهودية بقوله « شريعة موسى عطلت بمحمد » وايضا كان ما بين الاسبان شعراء وكتاب باللغة العربية ثم اخذ شأن العرب ينقص وكانت في قشتالة حركة عظمى في نمو الادب والشعور ثم اخيراً كان خروج العرب من اسبانيا فبدا دور الادب الاسباني الثاني

فالدور الاول عبارة عن ادب اللغتين اللاتينية والعربية في بلاد اجنبية فاستبدلت الاولى بالقشتالية وخرجت الثانية مع اهلها من اسبانيا وبقي منها اثر دليل شاهد على وجودها السابق وتاثيرها القوي في تلك البلاد

ترك العرب في اسبانيا لما خرجوا منها اثرا مشاهدا في تلك البلاد ولم يشأ او لم يستطع الادب الاسباني ان يمحوه إلاّ قليلا لان هياة هذا الادب المميزة له هي عين هيأة تدل على نشو مدينة الاسبان بالغرب وبملاسقة وبتاثير المدينة العربية تحلى الادب الغربي بالادب الشرقي واخذ ما شاء من فلسفته وحكمه وتراكيبه وهذا سانتشوبانصا Sancho Pança المفكر الاسباني قلد امثاله وحكمه عن العرب

قال العلامة سديلو : « مهجة الشعراء في اسبانيا منصرفه نحو الاخبار والرويات الحماسية وقد كان اشياع محمد (صلعم) في جميع العصور مبتدعين في القصص الخيالية فيجتمعون عند المساء حول خيمهم ليسمعوا بعض القصص الغريبة وقد ينظم الى ذلك كما هو في غرناطة الموسيقى والغناء »

من تلك القصص و الخرافات تولدت اغاني حماسية وعلى منوال تلك القصص نسجت اشعار حماسية على غاية من المبالغة تسمى بالرومانثيرو Jomancero والرومانثيرو هذا هو رضيع الادب الاسباني ويلاحظ انه توجد فكرة سياسية في الرومانثيرو حيث ان السياسة هي التي انتجته و قد ظهرت طبقة من الشعراء العامة تنشد هاته الاغاني في المواسم والاعياد وتذهب بها من بلد الى اخر

وقال سدلو ايضا «يحظ بكل وضوح الرومانثيرو الذي هو متركب من قطع مقلدة او مترجمة عن العربية مواسم تلك الازمنة والعاب الحلق ومصارعات الثيران ورقص الكولرية وتلك الضخامة اللطيفة التي جعلت عرب اسبانيا (الاندلس) عظماء في كل ضواحي اروبا »

واشهر الرومانثيرو هي اغاني السيد El Cid وهي اغاني حماسية تذكر وقايع هذا الرجل المسمى برودريق دي دياز Rodrigo de Diaz بكل مبالغة وهل كان السيد ام لا ذلك ما لا نعلمه - ومهما يكن فان السيد بطل ليس له ذمة ولا مروءة ولو كان شجاعا فانه تارة يحارب مع العرب اعدائه وتارة يحارب ضدهم وهكذا قضى حياته

وورواية السيد الفرنسوية Le Cid التي الفها الرواي كرناي ماخوذة عن الاسبانية التي نقلتها عن العربية من كتاب تاريخ ابن بسام

لكن السيد حاز ذكرا جميلا بين الاسبان وصار بينهم بطلا مشهورا (وقد اعتبروا فيه فضيلة ما نراه عيبا) (١)

اما الرومانثيرو نفسها فهي الفت حوالي ١٢٠٠ في ٤٠٠ بيت وكاتبها مجهول لم تكن الاشعار الاسبانية في حالها الاول كما هي الان وهي لا تزال مشتبكة باللاتنية والافكار جامدة والقرائح غير جائلة فهي اشبه شيء بتاريخ مسجع اكثر منها بشعر مقفى

قد انكر العلماء بادء بدء هاته الاشعار ونبذوها و قليلا قليلا تغلبت عليهم فقبلوها

(١) دوزي تاريخ الادب الاسباني في القرون الوسطى

الشعر القشتالي العتيق هو المنبع الذي خرج منه السيدو المظنون انه كان لاهل قشتالة في قديم الازمان شبه اغاني الاشارات Chansons de gestes قصيرة جدا يخلدون بها ذكر الابطال في حروبهم الشديدة مع العرب واقدم تلك الاناشيد هي احسنها فهي تتغنى في استرجاع البلاد من ايدي الغالبين ، وهنا ننتقل بالقاري الكريم من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر فنجد الاسبانية قد تحسنت وقد ظهر اكبر كاتب اسباني ألا وهو ثربنتيس المشهور صاحب التاليف العديدة وقد اشتهر برواية دون كخوتي Don Quijote - ولد سنة ١٥٤٧ بقلعة الهناريس ونشا هناك ثم هاجر الى ايطاليا وانخرط في جنودها وجرح في احدى الواقائع ثم اسره القراصنة عند رجوعه لبلاده ومكث اسيرا خمس سنين بالجزائر ثم فداه آباء التثليث وعاد الى مسقط راسه سنة ١٥٧٥ وتزوج في تلك السنة وصار يقطن تارة بطليطلة وتارة بشبيلية وتارة بمدريد ويكسب عيشه من صناعة الاقلام وكان مجهولا من مواطنيه ومات سنة ١٦١٦ من اوصاب العيش النكد والبؤس وهكذا العظام يكابدون المشاق في هذا العالم وهذا دانتي لم يكن ارفه منه حالا بعد موت البيتريس وعاش المعري اعمى

واما تاليفه فهي غالتيا رواية في العيش البدوي والافكار الحكمية التي كانت السبب في تلقيبه بالبوكاتشي (١) الاسباني - وبرسليس وسيجسموند قصة عن سكان الشمال وبعض الروايات التمثيلية واما التي اشتهر بها فهي قصة دون كخوتي بحر المانش

٤ - اللغة - لغة اسبانيا من اللغات الثلاث المسماة بالاخوة اللاتينية وهي الايطالية والاسبانية والافرنسية والاصل في هاته اللغات اللغة اللاتينية السفلى

قال مؤرخ القرن العاشر لويتبران : « انه في حوالي سنة ٧٢٨ كانت توجد في اسبانيا عشر لغات وهي : الاسبانية العتيقة - القنتابرية - اليونانية - اللاتينية - العربية العبرانية الكلدانية - السلتية الابرية - البلنسية - العتلامية

(١) البوكاتشي شاعر وصاحب قصص ايطالي (١٨٠٥ - ١٧١٠)

يتبين مما سبق انه عدى العربية كانت لغات اخرى سامية توجد في اسبانيا ولا عجب فان ناقلي التمدن الشرقي الى اسبانيا في التاريخ القديم هم الفينيقيون من ابناء سام ولغتهم هي اخت العبرانية والعربية

كل تلك اللغات سقطت مدى السنين فمنها ما اضمحل تماما ومنها ما نزل الى درجة لهجة واتحدت الالسنة حول اللغة القشتالية (التي لم تكن موجودة سنة ٧٢٨) والتي تكونت من اللاتينية المتغيرة في جبال قشتالة فالاسبانية اليوم هي القشتالية المتغيرة بمضي خمسة قرون من الادب

كانت القشتالية في اول الامر لغة الشعب وكانت اللغة العلمية الدينية هي اللاتينية ثم نقص شان هاته قليلا قليلا حتى كان الملك المقدس فرديننд الثالث فصير القشتالية هي اللغة الرسمية للدولة و بها صارت تكتب الرسائل والعقود و غيرها و على عهد الفنس العاشر المكنى بالعالم (ولعله مامون الاسبان) وهو ابن فردينند ترجم اليها بعض الكتب الاتينية الدينية ومن ذلك العهد صارت لاسبانيا لغة خاصة بها عرفت بالاسبانية

٥ ـ العربية والاسبانية اذا هاجم امة اخرى واستولت عليها يكون لها عليها تاثير عظيم مادي وادبي فاما المادي فهو فيما يخص الحكومات وانقلاباتها وفي الاكل والشرب و اللباس وأما الادبي فهو في الاخلاق والادب والعلوم واللغة و التاثير اللغوي يكون من المتسلط على المتسلط عليه ومن المتسلط عليه على المتسلط والسبب في ذلك التقليد و الاندماج

امتلك العرب اسبانيا مدة ثمانية قرون و كان لهم طبعا على الاسبان تاثير لغوي قوي فدخلت الالفاظ العربية في الاسبانية (وبالعكس) مع بعض التغيير ـ والتغير سنة لا تتبدل في التناقل اللغوي

وهنا اذكر للقاري بعض تلك الكلمات الدخيلة ليعلم مقدار العرب ومآثرهم الخالدة في اوروبا

فعدى الكلمات اللغوية توجد اسماء جغرافية منها جميع الاسماء المبدوئة بوادي نحو الوادي الكبير guadalquivir الواددي الاحمر - guadelemar وادي الحجارة guadalajara (اسم بلدة) وادي يانة guadiana وادي ليتة guadalete وقد هاجرت الالفاظ حتى لاميركا فسميت بالمكسيك بلدة وادي القصر Guadaleazar ومنهـا الاسماء المبدوءة بالقصر Alcazar مثل القصر دوسال Alcazardo Sal اي قصر الملح وقصر سان جوان Alcazar de SanJuan اي قصر القديس يوحنا ومن غير هاته من الاسماء القنطرة Alcantara والكدية Alcudia والمعادن Almaden والمنـاره Alménara والمائدة Alméda والبحيرة Albuliera والجزيرة Algézira (الجزيرة الخضراء) وجبل طارق gibraltar . ومن اسماء القصور العربية قصر الحمرا El Alhambra (القلعة الحمراء) والقصر El Alcazar وقصبة الحمراء تسمى بالاسبانية Alcazaba

قد ملك ادفنش بعض البلاد التي تحد اشتوريا وكان سكانهـا من البربر ثم عند الانجلاء العربي اعتنق اولئك البربر النصرانية والعجب اننا نرى اسمائهم لا تزال عربيه مثل الراهب محمد Mahamadi والشماس مروان Marvanas والشماس الياس Aliaz والراهب مالك Meliki والراهب قاسم Kazzem وهذا الاسم كما يعلمه القاري منتشر بين البربر بشمال افريقيا والراهب هلال Hilal والقس ايوب Aïub والاخ حجاج Agégi

وهؤلاء البربر المرغتوش Margottos مابرحوا على حالتهم القديمة الى الان فعوائدهم بربرية وملابسهم شبه ملابس بربر شمالي افريقيا ولو كانوا نسوا لغتهم الاصلية إلا انهم لا يتلفظون بسهولة باللغة الاسبانية ويحلقون رووسهم كما يحلق البربر بتونس (الشوشة) والبربر كما هو معلوم اشد الامم تشبثا بالعوائد القديمة

وبعد ان ذكرت اسماء البلادان واسماء الاشخاص اذكر المفردات اللغوية فمن اسماء الدور المخزن Almacen على ان هذا الاسم يوجد بالفرنسوية Magazin

وبالايطالية Magazzino والجون Darsena واظنه من دور الصناعة و دار الصناعة . Arsenal ومن اسماء الاشجار والاثمار والازهار الخيرى Aléli الياسمين El Jazmin البرقوق Albaricoque البلوط ـ la belluta الليمون El limon الرتم la retaina الزيتون la aceituna النارنج la naranja القطن Algodon والعرب هم الذين اتوا به الى اروبا وزرعوا منه في اسبانيا وصقلية الارز Arroz ومن اسماء العقاقير والسوائل الكحول Alcohol الصبر Acibar الكافور Alcaufor القلي ـ Alcali الزرنيخ ـ Arsenico القطران · Alquitian الزيت Aceite النيلة ـ El auil السكر Azucar وقد زرع العرب من قصب السكر باسبانيا وصقلية ماء الزهور (زهر البرتقال) Agua de Azahor الشراب Jarabe

ومن الالات والاوعية وغيرها المهراس ـ Almirez المخدة Almohada وهذا يدلنا على ان الاندلس يقولون مخدة عوض وسادة ـ العمود Alamud (عمود يصلح لقفل النوافذ) الخزانة la acena (وهي خزانة الاكل)

ومن اسماء الملابس الجبة la chupa وهي عندهم المنتان ـ القميص la camisa السروال Zaraguelle (نوع منه)

ومن الاحرف حتى hasta والمركبات فلان وفلان fuluno y zitano ومن الافعال الجر Aligérar ومن الحرف البناء Albanil

***

ما سبق نزر من جم وقطرة من يم واعظم من ذلك عدد المفردات العربية في الاسبانيه غير انى ارى نفسي خططت عجالة تكون الماما والالمام حاجة التونسي وعسى ان ياتي انسان اخر يخط المسألة بوضوح واطناب

يعلم الانسان مما سبق منزلة العرب الادبيه باسبانيا وتاثيرهم على ادب الاسبان ولغتهم وهي مأثرة خالدة بخلود لغة الاسبان وادبهم وفي اوروبا ادلة اخرى تدل على تاثير العرب على آداب اوروبا فربما كانت كومدية دانتي الالاهية منسوجة على

منوال رسالة الغفران لابي العلاء المعري وربما كانت جميع خرافات الروبانسون وما شاكلها ماخوذة عن رواية حي بن يقظان للفيلسوف ابي بكر بن طفيل وتلك مسائل تستوجب التطويل والتدقيق والله بكل ما سبق اعلم وهو الذي اورث بلاد الافرنج للعرب (ليثأروا فيها) وهو الذي اورث بلاد العرب للافرنج وهو وارث الارض ومن عليها

عثمان الكعاك



حوادث الشهر

كنا اشرنا في عددنا السالف الى سوق غالب جيوش البلشفيك ضد الجنرال فرنجال ومتابعة قتاله بلا انفكاك والى قرب زوال شوكة هذا القايد الروسي فجاءت الحوادث مصدقة لما توقعناه حيث آل امره الى الفرار من شبه جزيرة القريم بعد ان انهزم جيشه شر هزيمة ضاعت معها كل الامال التي علقتها بعضهم على اعماله وقد اكسب هذا الفوز زعماء البلشفيك ثقة في انفسهم واحيى فيهم الامال القديمة واعاد اليهم الرجاء بان اوروبا لا تلبث ان تعير اقتراحات مندوبيهم جانبا من العناية والالتفات وفعلا فان الجو قد صفا داخل بلاد روسيا للصوفييت بعد اندحار الجنرال فرنجال اذ لم يبق هناك معارض ذو اعتبار يقاوم سلطة ذلك الحزب المتغلب النشيط فاوروبا اليوم مخيرة بين امرين اما اثارة زعيم آخر يقوم بالمأمورية التي اسندت الى فرنجال وامثاله من قبله وهي طريقة لم تعد راجحة عند غالب المتحزبين واما افتتاح المخابرات مع حكومة لينين لعقد الصلح معها وربط العلائق التجارية والاقتصادية من جديد وهو راي وان مال اليه البعض إلاّ انه لم تجتمع عليه كلمة الاغلبية ولذلك نرى اليوم جرايد اروبا الكبرى مفعمة بالفصول وكلها يحوم حول حل المشكلة الروسية بطريقة مثلى تحفظ الممالك الغربية من عدوى البلشفيكية وفي نفس الوقت الذي قضت فيه الجيوش الحمرا على قوات فرنجال ضربت فرق مصطفى كمال باشا العصابات الارمنية الضربة القاضية واخترقت البلاد الى قارس واردهان وباطوم بينما كانت فرقه الاخرى

تضايق اليونان حول ازمير اثر الانقلابات الداخلية التي حصلت باثينة وغيرها من المدن وسقوط فينيزلوس ممثل سياسة التوسع وانتصار حزب قسطنطين الملك المخلوع بفضل هذه الانقلابات تغير مجرى السياسة بالشرق وعاد الامل في تنقيح معاهدة سيفر الشنيعة التي طالما طلب الاتراك بلا جدوى تعديل شروطها القاتلة واخذت من ذلك الحين النوادي السياسية بلندرة وباريس وروما تتخابر في الامر وتعقد الاجتماعات للنظر في الحالة الجديدة التي تولدت من تطور سياسة اليونان الداخلية ويظهر ان تيار الموافقين على تعديل المعاهدة لفائدة تركيا اخذ ينمو يوماً فيوماً بالرغم من تعرض جماعة من ولاة انقلتيرا الذين املوا غالب بنود تلك المعاهدة حسب تعاليم غلادستون المعروفه بكراهيتا للهلال وذوويه غير ان مصلحة بريطانيا تقضي عليها بعدم الانقياد لهذه المبادي الحمقى والاعراض عن دسايس المتشيعين اليها بتاتاً لانه ليس من فائدة انكلترا اضطرار تركيا بحكم ناموس البقاء الى الاتحاد مع الصوفيت واشعال نار فتنة ملية بالشرق لا تقف عند حد وهذه الحركات الثورية الاخيرة التي ظهرت بالهند والمقاتلات العنيفة الدائرة بسهول بين النهرين والارتجاجات الاجتماعية التي اهتز لها الافغان وبوخارة الخ تنبىء بما سيحدث بتلك الاصقاع البعيدة اذا تمادت حكومة سان جام على السياسة الانتقامية التي سلكتها نحو خلافة المسلمين بل ان الاصلح لانكلتيرا ولحلفائها ان ينتهزوا فرصة الطور الجديد الذي دخلت فيه سياسة البلاد اليونانية لحل المشكلة الشرقية بصورة ترضي الاتراك وتصون كرامة الخلافة وتسكن غضب المسلمين

تنبيه

ادارة المجلة تطلب من السادة المشتركين الذين لم يدفعوا قيمة اشتراكهم الى اليوم ان يرسلوا لها تلك القيمة حوالة على البوسطة او يدفعوها راسا لادارة المجلة بشارع باب البنات عدد ٤٦ بتونس